قال الله تعالى : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۞ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۞ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۞ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

سورة أمّ القرآن

وتسمى سورة الحمد لله ، وفاتحة الكتاب ، والواقية ، والشافية ، والسبع المثانى . وفيها عشرون فائدة ، سوى ماتقدّم فى اللغات من تفسير ألفاظها ، واختلف هل هى مكية أو مدنية ؟ ولا خلاف أنّ الفاتحة سبع آيات إلا أنّ الشافعى يعدّ البسملة آية منها ، والمالكى يسقطها ويعدّ أنعمت عليهم آية (الفائدة الأولى) قراءة الفاتحة فى الصلاة واجبة عند مالك والشافعى ، خلافا لأبى حنيفة وحجتهما قوله صلى الله عليه وآله وسلم للذى علمه الصلاة « اقرأ ماتيسر من القرآن » (الفائدة الثانية) اختلف هل أوّل الفاتحة على إضمار القول تعليما للعباد : أى قولوا الحمد لله ، أوهو ابتداء كلام الله ، ولا بدّ من إضمار القول فى «إياك نعبد» وما بعده (الفائدة الثالثة) الحمد أعم من الشكر ؛ لأنّ الشكر لايكون إلا جزاء على نعمة ، والحمد يكون جزاء كالشكر ، ويكون ثناء ابتداء كما أنّ الشكر قد يكون أعم من الحمد ، لأنّ الحمد باللسان ؛ والشكر باللسان والقلب ، والجوارح . فإذا فهمت عموم الحمد : علمت أنّ قولك (الحمد لله) يقتضى الثناء عليه لما هو من الجلال والعظمة والواحدانية والعزة والإفضال والعلم والمقدرة والحكمة وغير ذلك من الصفات ، ويتضمن معانى أسمائه الحسنى التسعة والتسعين ، ويقتضى شكره والثناء عليه بكل نعمة أعطى ورحمة أولى جميع خلقه فى الآخرة والأولى ، فيالها من كلمة جمعت ماتضيق عنه المجلدات ، واتفق دون عدّة عقول الخلائق ، ويكفيك أنّ الله جعلها أوّل كتابه وآخر دعوى أهل الجنة (الفائدة الرابعة) الشكر باللسان هو الثناء على المنعم والتحدث بالنعم ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « التحدّث بالنعم شكر » والشكر بالجوارح هو العمل بطاعة الله وترك معاصيه ، والشكر بالقلب هو معرفة مقدار النعمة . والعلم بأنها من الله وحده ، والعلم بأنها تفضل لا باستحقاق العبد ، واعلم أنّ النعم التى يجب الشكر عليها لاتحصى ، ولكنها تنحصر فى ثلاثة أقسام : نعم دنيوية : كالعافية والمال ونعم دينية : كالعلم ، والتقوى . ونعم أخروية : وهى جزاؤه بالثواب الكثير على العمل القليل فى العمر القصير . والناس فى الشكر على مقامين : منهم من يشكر على النعم الواصلة إليه خاصة ، ومنهم من يشكر الله عن جميع خلقه على النعم الواصلة إلى جميعهم ، والشكر على ثلاث درجات : فدرجات العوام الشكر على النعم ، ودرجة الخواص الشكر على النعم والنقم وعلى كل حال ، ودرجة خواص الخواص أن يغيب عن النعمة بمشاهدة المنعم ، قال رجل لإبراهيم بن أدهم[1] : الفقراء إذا منعوا شكروا ، وإذا أعطوا آثروا . ومن فضيلة

---

(١) كذا بالأصل ، ولعل هنا سقطا تقديره : « من أفضل الناس ؟ قال » فتدبر اه مصححه

الشكر أنه من صفات الحق ، ومن صفات الخلق فإن من أسماء الله : الشاكر ، والشكور ، وقد فسرتهما فى اللغة (الفائدة الخامسة) قولنا « الحمد لله رب العالمين » أفضل عند المحققين من لا إله إلا الله لوجهين : أحدهما ما خرّجه النسائى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « من قال لا إله إلا الله كتب له عشرون حسنة ، ومن قال الحمد لله رب العالمين كتب له ثلاثون حسنة » والثانى : أنّ التوحيد الذى يقتضيه لا إله إلا الله حاصل فى قولك «رب العالمين» وزادت بقولك الحمد لله ، وفيه من المعانى ما قدمنا ، وأما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله » فإنما ذلك للتوحيد الذى يقتضيه ، وقد شاركتها الحمد لله رب العالمين فى ذلك وزادت عليها ، وهذ المؤمن يقولها لطلب الثواب ، وأما لمن دخل فى الإسلام فيتعين عليه لا إله إلا الله (الفائدة السادسة) الرب وزنه فعل بكسر العين ثم أدغم ، ومعانيه أربعة : الإله ، والسيد ، والمالك ، والمصلح . وكلها فى رب العالمين ؛ إلا أنّ الأرجح معنى الإله : لاختصاصه لله تعالى ، كما أنّ الأرجح فى العالمين أن يراد به كل موجود سوى الله تعالى ، فيعم جميع المخلوقات (الفائدة السابعة) ملك قراءة الجماعة بغير ألف من الملك ، وقرأ عاصم والكسائى بالألف والتقدير على هذا : مالك مجىء يوم الدين ، أو مالك الأمر يوم الدين ، وقراءة الجماعة ارجح من ثلاثة أوجه . الأول : أنّ الملك أعظم من المالك إذ قد يوصف كل أحد بالمالك لماله ، وأما الملك فهو سيد الناس ، والثانى : قوله (وله الملك يوم ينفخ فى الصور) والثالث : أنها لا تقتضى حذفا ، والأخرى تقتضيه ؛ لأنّ تقديرها مالك الأمر ، أو مالك مجىء يوم الدين ، والحذف على خلاف الأصل . وأمّا قراءة الجماعة فإضافة ملك إلى يوم الدين فهى على طريقة الاتساع ، وأجرى الظرف مجرى المفعول به ، والمعنى على الظرفية : أى الملك فى يوم الدين ، ويجوز أن يكون المعنى ملك الأمور يوم الدين ، فيكون فيه حذف . وقد رويت القراءتان فى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد قرئ ملك بوجوه كثيرة إلا أنها شاذة (الفائدة الثامنة) الرحمن ، الرحيم ، مالك : صفات ، فإن قيل : كيف جرّ مالك ومالك صفة للمعرفة ، وإضافة اسم الفاعل غير محضة . فالجواب أنها تكون غير محضة إذا كان بمعنى الحال أو الاستقبال ، وأما هذا فهو مستمر دائما فإضافته محضة (الفائدة التاسعة) هو يوم القيامة ويصلح هنا فى معانى الدين والحساب والجزاء والقهر ، ومنه إنا لمدينون (الفائدة العاشرة) إياك فى الموضعين مفعول بالفعل الذى بعده ، وإنما قدم ليفيد الحصر فإنّ تقديم المعمولات يقتضى الحصر ، فاقتضى قول العبد إياك نعبد أن يعبد الله وحده لا شريك له ، واقتضى قوله « وإياك نستعين » اعترافا بالعجز والفقر وأنا لا نستعين إلا بالله وحده (الفائدة الحادية عشرة) إياك نستعين : اى نطلب العون منك على العبادة وعلى جميع أمورنا ، وفى هذا دليل على بطلان قول القدرية والجبرية ، وأنّ الحق بين ذلك (الفائدة الثانية عشرة) اهدنا : دعاء بالهدى . فإن قيل كيف يطلب المؤمنون الهدى وهو حاصل لهم ؟ فالجواب أنّ ذلك طلب للثبات عليه إلى الموت ، أو الزيادة منه فإنّ الارتقاء فى المقامات لا نهاية له (الفائدة الثالثة عشرة) قدم الحمد والثناء على الدعاء لأنّ تلك السنة فى الدعاء وشأن الطلب أن يأتى بعد المدح ، وذلك أقرب للإجابة . وكذلك قدم الرحمن على ملك يوم الدين لأنّ رحمة الله سبقت غضبه ، وكذلك قدم إياك نعبد على إياك نستعين لأن تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة (الفائدة الرابعة عشرة) ذكر الله تعالى فى أول هذه السورة على طريق الغيبة ، ثم على الخطاب فى إياك نعبد وما بعده ، وذلك يسمى الالتفات ، وفيه إشارة إلى أن العبد إذا ذكر الله تقرب منه

فصار من أهل الحضور فناداه (الفائدة الخامسة عشرة) الصراط فى اللغة الطريق المحسوس الذى يمشى ثم استعير للطريق الذى يكون الإنسان عليها من الخير والشر ، ومعنى المستقيم القويم الذى لا عوج فيه ، فالصراط المستقيم الإسلام ، وقيل القرآن ، والمعنيان متقاربان ، لأن القرآن يضمن شرائع الإسلام وكلاهما مروى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم وقرئ الصراط بالصاد والسين وبين الصاد والزاى ، وقد قيل إنه قرئ بزاى خالصة ، والأصل فيه السين ، وإنما أبدلوا منها صاداً لموافقة الطاء فى الاستعلاء والإطباق ، وأما الزاى فلموافقة الطاء فى الجهر (الفائدة السادسة عشرة) الذين أنعمت عليهم: قال ابن عباس: هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون. وقيل المؤمنون ، وقيل الصحابة ، وقيل قوم موسى وعيسى قبل أن يغيروا ، والأول أرجح لعمومه ، ولقوله مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين (الفائدة السابعة عشرة) إعراب غير المغضوب بدل ، ويبعد النعت لأن إضافته غير مخصوصة وهو قد جرى عن معرفة وقرئ بالنصب على الاستثناء أو الحال (الفائدة الثامنة عشرة) إسناد نعمة عليهم إلى الله ، والغضب لما لم يسم فاعله على وجه التأدب : كقوله : وإذا مرضت فهو يشفين ، وعليهم أول فى موضع نصب ، والثانى فى موضع رفع (الفائدة التاسعة عشرة) المغضوب عليهم اليهود ، والضالين : النصارى ، قال ابن عباس وابن مسعود وغيرهما ، وقد روى ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وقيل ذلك عام فى كل مغضوب عليه ، وكل ضال ، والأول أرجح لأربعة أوجه : روايته عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وجلالة قائله ، وذكر ولا فى قوله ولا الضالين دليل على تغاير الطائفتين وأن الغضب صفة اليهود فى مواضع من القرآن : كقوله فباؤا بغضب ، والضلال صفة النصارى لاختلاف أقوالهم الفاسدة فى عيسى ابن مريم عليه السلام ، ولقول الله فيه «قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل» (الفائدة العشرون) هذه السورة جمعت معانى القرآن العظيم كله فكأنها نسخة مختصرة منه فتأملها بعد تحصيل الباب السادس من المقدمة الأولى تعلم ذلك فى الألوهية حاصلا فى قوله : الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ، والدار الآخرة : فى قوله مالك يوم الدين ، والعبادات كلها من الاعتقادات والأحكام التى تقتضيها الأوامر والنواهى : فى قوله إياك نعبد ، والشريعة كلها فى قوله : الصراط المستقيم ، والأنبياء وغيرهم فى قوله الذين أنعمت عليهم ، وذكر طوائف الكفار فى قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين

﴿خاتمة﴾ أمر بالتأمين عند خاتمة الفاتحة للدعاء الذى فيها ، وقولك آمين اسم فعل معناه اللهم استجب ، وقيل هو من أسماء الله ويجوز فيه مد الهمزة وقصرها أولا يجوز تشديد الميم ، وليؤمن فى الصلاة . المأموم والفذ والإمام إذا أسر ، واختلفوا إذا جهر